

# إهانة الإنسان

لو إرتأينا الحديث عن الدكتور المهدي المنجرة، فلا يتأتى لنا هذا ولو حتى بعد جهد جهيد، فالدكتور أشمخ من أن نتحدث عنه في بضعة أسطر أو حتى في مؤلفات، لكن بحكم مقامنا ومقالنا هذا، يمكن أن نقول عنه إنه ذلك الإنسان العارف المتواضع، المناضل الثائر، المستقبلي المتفائل، سمات نلمسها في إنتاجات الدكتور.. على سبيل المثال، كتابه الأخير "الإهانة في زمن الميغا امبيرالية"، الذي سنحاول مقاربه من خلال ثلاثة مفاهيم أساسية نعتقد أنها تحصر فحوى الكتاب، وهي: الحرب الحضارية، الإهانة، الانتفاضة.

أولا - مفهوم الحرب الحضارية: يميز الدكتور المهدي المنجرة بين مفهوم صراع الحضارات الذي جاء به هانتنغتون، ومفهوم الحرب الحضارية، فالأول عدواني، يرى أن الصراع كامن وأساسى في جينات الثقافات والحضارات ذاتها وبذاتها. أما الثاني فوقائى ينه الى أن الحوار هو الطريق الوحيد والأوحد المجنب للحروب، إن الهوية الثقافية ستصبح، مصدرا متزايدا للصراعات بين الشعوب

وداخل بعضها البعض، إذ أن الصراعات المستقبلية ستكون أسبابها بالأساس ذات طابع ثقافى، ليس لأن الحضارات عدائية في جوهرها، وإنما بسبب غياب التواصل.

يقول المهدي المنجرة إن الثقافات مؤسسة على السلم، إذ لا تواجد لأي ثقافة تنشأ عدائية، إن النزاعات والصراعات ما هي إلا حالات عارضة، عندما لا ننتبه إلى القيم الثقافية نسير دائما نحو الشقاق. يمكننا على صعيد المجتمع أن نتحدث عن نظام سيكولوجى يتكون من ثلاثة مكونات: "الانا المجتمعى" عبارة عن النسق الأخلاقى، و"الانا الأعلى المجتمعى" أي غرائز الاستعلاء، والأخلاق المثالية الترجسية الملائكية. ثم "الهوالمجتمعى" أي ما لا تسمح الحضارات والثقافات والمجتمعات الأخرى بتصريفه، من هنا تكون الصراعات ناتجة عن اختلال التوازن بين الانا المجتمعى والانا الأعلى المجتمعى، أو ناتجة عن كبت داخلى أو خارجى للانا المجتمعى، إنها إذن حالات بأطولوجية.

ثانيا - الإهانة:



المهدي المنجرة

يأتى نضج مفهوم الإهانة عند المهدي المنجرة كنتيجة لحصيلة خبرة طويلة في مجال العلاقات الدولية، وعلاقات شمال-جنوب. وقد ظهرت بوادر تكون هذا المفهوم عند المهدي المنجرة منذ وقت، إذ تلمسه في كتاب "انتفاضات في زمن الديمقراطية"، كما تلمسه أيضا مثلا في محاضراته بقلعة مكونة التي القاهها في إطار الأنشطة

الثقافية لجمعية الغرفة الفتية.

يقول المهدي المنجرة إن الإهانة أصبحت طريقة حكم على الصعيدين الوطنى والدولى. يمكننا القول إن تلك المشاهد المتلفزة الواردة من فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان.. إهانة يومية، والانتخابات إهانة دورية، واجتماعات القمم العربية ومؤتمرات الدول الإسلامية إهانة آخر الساعة...، وننفرد هنا بالمغرب بحالة عسكرية الجامعة التي تمثل أكبر إهانة لكل ما راكمته الإنسانية في مجال حقوق الإنسان، والبحث العلمى، والجمال، والإبداع، والفن، والأخلاق، والقيم...

ثالثا - الانتفاضة

يتحدد مفهوم الانتفاضة لدى الدكتور في إطار رؤية الى العالم أساسها تشاؤم الواقع، وتفاعل الإرادة، حيث إن الإرادة تتفائل حتى يتفائل معها العقل، يقول الدكتور "إننا نعيش أزمة أخلاق حقيقية تزيد من أضرار الإهانات الناجمة عن الفقر، والأمية، والمرضى، وغياب العدالة الاجتماعية وخرق حقوق الإنسان". نعم، إنها أزمة البعد الجمالى في

الحضارة الإنسانية. وبالتالي فالعالم مقبل لا محالة على انتفاضات ردود أفعال على كل هذا الإحباط المتراكم، الانتفاضة قادمة، فهي سنة كونية، فقد تعلمنا من الفيزياء أن لكل فعل رد فعل، وتعلمنا من البيولوجيا أن الجمود والسكون هي سمة الخلايا الميتة، وتعلمنا من التاريخ الحركية والسيرورة...

إن الانتفاضة هي رد الفعل على الإهانة. لكن قبل الانتفاضة لابد من إهانة الإهانة، ولا نهين الإهانة إلا بإدراكها، وبإيماننا بكرامتنا وبقدسية العنصر البشرى.

جميل أن نمتلك تفاؤل الإرادة، وأجمل أن نمتلك تفاؤل العقل.. فهذه مرحلة الانتفاضات، فهناك انتفاضة عابد الجابري، وانتفاضة أحمد السنوسى، وانتفاضة علي المرباط، وانتفاضة المهدي المنجرة، وانتفاضة أحمد بوزفور، وانتفاضة مربة مكريم... واللانحة طويلة، وما زالت مفتوحة.. وكل حين والانتفاضة متجددة.

● إسكلا كريم